Dr Yousef D. Ghawanmeh
Dept of Humanities
Yatmuk University
Irbid—Jordan

القرية في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي
في ضوء وقفية قرية أدر

بقلم
الدكتوريوسف درويش غوانمه

تمثل القرية الأردنية الفلسطينية في العصر المملوكي العمود الفقري للبلاد، فقد بنيت على قمة تل كي تهيمن على منظر ممتد، أو بجانب نبع ماء، وهذا الموقع اختير لأسباب اقتصادية وأمنية وصحية معا. والدراسات الديموغرافية تعتبر منطقة شمال الأردن والجليل والأغوار، أكثر المناطق كثافة للسكان. وتشير الدراسات الحديثة ان مدن وقرى هذه المنطقة كانت ذات كثافة سكانية عالية، وذلك في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).[١] واستمرت هذه الكثافة السكانية مزدهرة في العصر المملوكي، بسبب أهميتها الاقتصادية التجارية والزراعية معا.[٢] ولدينا احصائية تشير ان سكان هذه المنطقة بلغت في القرن العاشر الهجري (أوائل القرن السادس عشر الميلادي) ٢٠٦٫٢٩٠ نسمة، أما سكان الأجزاء الشمالية من الأردن (محافظة اربد الحالية) فكان اذ ذاك ٥٠٫٩٤٠ نسمة.[٣]

وتفيد المصادر أن الكثافة السكانية في الأردن وفلسطين كانت عالية في العصر البيزنطي.[٤] وذلك من خلال عدد قراها المرتفع، ففي الجزء الغربي من فلسطين وجد ٢٠٠٠ قرية. ولا شك في أن هذا الانتشار السكاني امتد الى الأردن. ومن دراستنا لأحوال بلاد الشام في العصر الأموي، يبدو لنا أن هذه البلاد، شهدت عمرانا ونشاطا سكانيا واسعا، بوصفها قلب الخلافة، وهكذا حتى أواخر القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد)، عندما دهم الصليبيون البلاد، وغدت فلسطين والأردن بالذات مسرحا لعدوان صليبي غربي شرس، فهجر البلاد كثير من أهلها، وخربت بعض قراها، مما أثر في الكثافة السكانية للبلاد. يضاف الى ذلك أن أرض فلسطين والأردن شهدت كثيرا من أحداث المنازعات الداخلية بين خلفاء صلاح الدين من بني أيوب. وتعرضت في القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) لعبث الخوارزمية حينا، والتتار أحيانا. وهذه كلها عوامل تركت أثرا خطيرا في النشاط البشري في البلاد، وهو أمر يبدو أنها لم تفق منه طوال عصر سلاطين المماليك. فقد تدنى عدد القرى في الجزء الغربي من فلسطين فبلغ في العصر المملوكي ما بين ٧٠٠ ــ ٨٠٠ قرية.[٥] وهذا ما ينطبق أيضا على شرق الأردن، فالمصادر لا تسعفنا عن عدد قراه في العصر البيزنطي، الا أن عدتها في العصر المملوكي:

منطقة الكرك	٤٠٠	قرية
منطقة البلقاء	٣٠٠	قرية
منطقة حوران	١٠٠٠	قرية[٦]

(و يدخل في حوران أجزاء كبيرة من شمال الأردن (محافظة اربد). هذا بخلاف منطقة الأغوار التي وصفت بكثرة قراها و وفرة غلاتها.

وكما أشرنا سابقا فقد شهدت المنطقة تدنيا في كثافتها السكانية في فترة الصراع الصليبي في بلاد الشام، وفي حروب المماليك مع المغول، واجتياح الطاعون للبلاد، الذي ظل يتعاقب عليها سنين عديدة.[٧] بالاضافة الى انعدام الأمن في نهاية دولة المماليك الثانية، وعبث القبائل العربية في البلاد، وخصوصا منطقة شرق الأرن وجنوب فلسطين، فهجرت القرى العديدة، بعد أن أحرق بعضها، حتى أن العديد منها وصف في أوائل العصر العثماني (خراب وخالي).[٨]

(١) Benvenisti, M. The Crusaders in the Holy Land, p. 27.

(٢) ابن قاضي شهبه، الأعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢ لوحة ١٤٣، مخطوط، يوسف غوانمه، تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، القسم الحضاري، عمان، ١٩٧٩ م، ص ٥٥ــ٨٠.

Benvenisti, Op. cit. p. 199.

Lapidus, Muslim cities in the Later Middle Ages, 1967 p. 160

(٣) Hutteroth & Abdulfattah, Historical Geography of Palestine, Erlangen, 1977, p. 43.

(٤) Issawi, Area and population of the Arab Empire (Princeton Millet Conference June 1978).

(٥) Benvenisti, op. cit. p. 215.

(٦) ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، باريس ١٨٩٤ م، ص ٤٦ ٤٧ ابن جبير، رحلة ابن جبير، القاهرة ١٩٥٥ م، ص ٢٧٦.

(٧) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة، ١٩٣٤ م ج ٢ ص ٧٧٤. ابن بطوطة، الرحلة، القاهرة، ١٩٥٨ م ج ٢ ص ١٧٦. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٣٢، ج ١٠ ص ١٩٧، ١٩٨. وانظر.

Nohl, The black death London, 1924, pp. 17- 18.

Lopez, (R) The Commercial Revolution of the middle Ages, U. S. A. 1976, p. 12 - 29.

Kedar, Merchants in Crisis, U. S. A., 1976. p. 14.

John (G), Syria, Lebanon, Jordan, LONDON, 1967, p. 99.

(٨) Hütteroth & Abdulfattah, op. Cit. p. 26.

وهناك اختلاف بين قرية وأخرى في مساحة زمام كل منها، فهي تتروح بين ١٠٠ دونم الى عدة آلاف. فالتقارير تشير الى أن المساحة في منطقة صور كانت تتروح بين ٢٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ دونم. أما في منطقة الكرك فمن دراسة وقفية قرية أدر نجد أن مساحة هذه القرية حوالي ٢٥٠٠٠ دونم. وبالمقارنة الى مساحة بعض القرى الفلسطينية نجد أن ما يخص القرية الواحدة في عكا ١١٧٠٠ دونم، وفي منطقة الجليل الأعلى بين ١٠٠٠٠ الى ٢٦٠٠٠ دونم، أما في نابلس فكان ١٦ ٠٠٠ دونم وفي القدس ٢٤٠٠٠ دونم.[٩]

أما مساحة القرية التي خصصت لدورها وملحقاتها، فنراها في قرية أدر ٧٦ دونما، وعدد الدور ٨٣ دارا. وعند تاريخ هذه الوثيقة وهو ٣ جمادى الأولى ٧٧٧ هـ (أكتوبر (تشرين أول) ١٣٧٥م)، كان الصالح منها ٧٣ دارا. ومن المعروف أن الدار الواحدة في العصور الوسطى كان يعيش بها أكثر من عائلة واحدة ولما كان تقديرنا لعدد العائلات في أدر ١٤٠ عائلة، وأن الدراسات الديموغرافية المعاصرة تقدر عدد أفراد العائلة بين ٤ ــ ٥ أشخاص،[١٠] فعدد سكان القرية اذن ٧٠٠ شخص. وبذا فالكثافة السكانية لقرية أدر هي ١٠ أشخاص للدونم الواحد، وهذه الكثافة السكانية متجانسة تقريبا في معظم القرى الأردنية والفلسطينية.

وقد كانت بيوت القرية مكتظة ومتقاربة، ويفصل بينها جدران عالية للحماية تتشارك في أجزاء منه، ومن خلال تلك الجدران وجدت البوابة الرئيسية المؤدية الى فناء الدار. ويتخلل القرية شبكة من الممرات الضيقة المتعرجة، وقد وجدنا أن بعض الدور في وادي الكرك كان من طابقين وهي أشبه بنظام (الفيلا) في الوقت الحاضر. وتتكون الدار من أواوين معقودة بالعقود المتقاطعة،[١١] وكان هذا النمط شائعا في معظم الأبنية الفلسطينية.[١٢] أما المواد المستخدمة في البناء فهي الطين والحجر والشيد، وبعضها استخدم القش والطين.[١٣] وقد كانت الأواوين الواسعة تقوم على قناطر حجرية يتروح عددها بين قنطرتين الى أربع قناطر بسراويل بجنب اتنعشري.[١٤] وقد رأينا استخدام الطوب (الآجر) في بعض الأبنية، وخصوصا في القباب القائمة فوق الأواوين الواسعة.[١٥]

وأقيمت في القرية منشآت ذات نفع عام، يأتي في مقدمتها المسجد الذي كان يقع في وسط القرية، ووجد في البعض برج حصين يقوم بمهمة الدفاع عن القرية، ويلجأ اليه القرويون عند الخطر الداهم. ووجد في معظم القرى الأردنية والفلسطينية معصرة زيتون، وطاحون للدقيق، وبعض هذه المنشآت قديم فأطلق عليه القرويون الرومي اشارة الى أنها ترجع الى أيام الرومان أو الروم قبل الفتح الاسلامي لبلاد الشام. وقد لاحظنا مثل هذه المسميات في قرية أدر (سلسلة رومية، حبلة رومية، معصرة رومية، حائط رومي، سمّار رومي). أما الحجارة المستخدمة في المعاصر والطواحين فكانت من أماكن معروفة في الأردن وفلسطين، مثل المكان الموجود بالقرب من قرية أدر والذي سمته الوثيقة (مقطع حجارة الطواحين).[١٦] ووجد في بعض القرى معصرة للنبيذ، كان يقوم بادارتها المواطنون المسيحيون.[١٧] ومن تلك المنشآت نذكر أيضا الكتاب (المدرسة)، الذي يتعلم به أبناء القرية، وكان يتم ذلك في مكان خاص أعد لهذه الغاية، أو في مسجد القرية.

أما مجتمع القرية فكان مجتمعا بسيط التركيب، فسكان القرية ينتمون الى قبيلة واحدة وأحيانا الى أكثر من ذلك. ويعيش المسلمون منهم والنصارى جنبا الى جنب، ونسبة المسلمين عموما كانت أعلى اذ بلغت من ٧٠٪ الى ٨٠٪، اللهم الا مناطق خاصة كالشوبك والكرك ووادي موسى بلغت نسبة النصارى فيها نسبة عالية،[١٨] واستمرت هذه النسبة عالية حتى أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).[١٩].

(٩) Benvenisti, op. Cit. p. 214, p. 217.

(١٠) Hutteroth & Abdulfattah, op. Cit. p. 43.
Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, LONDON, p. 376.

(١١) وقف البستان والحمام بوادي الكرك للسلطان الأشرف شعبان سنة ٧٧٧ هـ من وثيقة حجة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩، بدار الوثائق القومية في القاهرة «مخطوط».
وانظر نص الوقفية في: يوسف غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، القسم الحضاري، ص ٢٤٣ــ٢٤٤.

(١٢) Benvenisti, op. Cit. p. 220.

(١٣) وثيقة وقف بستان وحمام الكرك.
يوسف غوانمه، المرجع السابق، ص ١٠٧.

Prawer, op. Cit. p. 366.

(١٤) وثيقة وقف بستان وحمام الكرك.

(١٥) نفس المصدر.

(١٦) وثيقة وقفية قرية أدر من عمل الكرك المحروس، من حجة وقف السلطان الأشرف شعبان. رقم ٤٩، بدار الوثائق القومية في القاهرة.

(١٧) مجير الدين الحنبلي الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الحيدرية، بغداد، ١٩٦٨ م، ج ٢، ص ١٤٧.

Benvenisti, op. Cit. p. 220.

Prawer, op. Cit. p. 362.

(١٨) أبو الفداء، تقويم البلدان، مطبعة المثنى، بغداد، ١٨٥٠ م ص ٢٤٧. المقريزي: المصدر السابق، ج ١ ص ٩١٢.

يوسف غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، القسم الحضاري، ص ١١٦.

(١٩) Hütteroth, op. Cit. p. 54.

وكان لكل قرية شيخ أو أكثر[٢٠]، والمصادر اللاتينية المعاصرة نعتته باسم (رئيس)[٢١]، وعليه تقع مسؤولية حفظ النظام في القرية، والمسؤولية المباشرة أمام السلطة الحاكمة والمالك الاقطاعي. ومن الجدير بالذكر أن شيخ القرية عرفته القرى الشامية قبل العصر الصليبي،[٢٢] ومن مهامه أيضا فض المنازعات والمشاكل بين أفراد القرية، وهو الناطق الرسمي باسمها أمام السلطات الحاكمة[٢٣]. وتذكر المصادر أن شيوخ القرية كانوا يعرفون مساحتها ومقدار فدنها، والمتحصل من تلك الفدن، و يقومون بجمع الضرائب المترتبة على فلاحي القرية، وتقديمها للأمير المقطع أو استاداره،[٢٤] فشيخ القرية والحالة هذه يمثل السلطة الرسمية في مجتمع القرية المحلي.

وجرت العادة أن يملك شيخ القرية بيتا كبيرا مفروشا جيدا، اذ كانت من مهماته أيضا استقبال الزوار القادمين الى القرية، فيرحب بهم و يكرمهم، و يتم ذلك في بيته أو في مكان خصص لهذه الغاية سمي (المضافة)[٢٥] ولا زلنا نرى هذا التقليد في الريف الأردني والفلسطيني حتى الوقت الحاضر.

وشكلت المرأة عنصرا هاما في مجتمع القرية، فبالاضافة الى أعمال البيت واعداد الطعام، كانت تقوم بصناعة الجبن ونسج الملابس ومساعدة زوجها في أعماله الزراعية. فالمرأة الأردنية والفلسطينية في العصور الوسطى كانت عنصرا منتجا في مجتمع القرية الزراعي.

(٢٠) السبكي تقي الدين علي التهيد فيا يجب فيه التحديد، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٥١ م ص ٨.

(٢١) Prawer, op. Cit. p. 367.
Benvenisti, op. Cit. p. 218.
Hourani, The Islamic City in the Light of recent research, (The Islamic city) U. S. A. pp. 18 - 19.
Holt: The Eastern Mediterranean Lands in the period of the Crusades, England, 1977, p. 10.

ووجد هذا الشيخ أو الرئيس في المدن، وأطلق عليه أحيانا (عريف الحارة) كانت مسؤوليات هؤلاء الشيوخ تتمثل بجمع الضرائب والناطق باسم الحي.

أنظر: Lapidus, Urban Society, in the Mamluk Syria, (The. Islamic City) p. 196.

(٢٢) Hourani, op. Cit. p. 18.

(٢٣) Ibid, p. 19.
Lapidus, op. cit. 197.

(٢٤) السبكي تقي الدين علي، المصدر السابق، ص ٨ السبكي تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٤٨ م، ص ٢٦.
Prawer, op. Cit. p. 367.

(٢٥) Ibid, p. 367.

لقد عانى فلاحو بلاد الشام بشكل عام من الظلم الاجتماعي نتيجة لتعسف أمراء الاقطاع والأجناد.[٢٦] فالقرى كانت موزعة بين الأمراء والأجناد، ونتيجة لهذا الظلم نرى السبكي يقول: «فمن حق الله سبحانه وتعالى عليهم أي الأجناد ــ اللطف بالفلاحين، فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جنديا والجندي فلاحا... فلا أقل من أن يكفي الفلاح شره وظلمه»[٢٧] وكان الفلاح يلزم بالاقامة في الأرض مدة ثلاث سنوات متوالية، ولا يسمح له بالمغادرة، وان نزح أعيد الى القرية قهرا و يلزم بفلاحة الأرض. وقد ألزم ديوان الجيش في عصر دولة المماليك الفلاحين بذلك، مما دعا السبكي للاحتجاج قائلا:

«والبلاد تعمر بدون ذلك، بل انما تخرب بذلك، لأنهم يضيقون على الناس»[٢٨] وكان اقطاع الأمير تتروح مساحته بين زمام قرية وعشر قرى موزعة في مناطق مختلفة، أما المملوك السلطاني فيتراوح اقطاعه بين قرية ونصف قرية في حين يبلغ اقطاع جندي الحلقة جزءا من زمام قرية. ولأسباب أمنية أصبح السلطان منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) يعطي أجزاء أو حصصا من قرى مختلفة ومتباعدة، بدلا من قرية واحدة.[٢٩]

ونتيجة لهذا العسف والظلم الاجتماعي، هاجرت أعداد كبيرة من الفلاحين الى المدن الكبيرة للعمل هناك، ولكنها لم تلق النجاح الذي أرادته، فشكلوا مع الزمن طبقة فقيرة، أطلق عليها اسم الحرافيش، والأوباش، كان منهم الخدم، وعمال المطابخ، ورجال الاسطبلات، واللصوص والمجرمون.[٣٠]

(٢٦) السبكي تاج الدين، المصدر السابق، ص ٢٦، ٥٢.

وانظر: Cohen & Lewis, Population and revenue in the Towns of Palestine, Princeton U. S. A., 1978 p. 24.

(٢٧) السبكي تاج الدين، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٢٨) السبكي تاج الدين، نفس المصدر، ص ٣٤.

(٢٩) مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيا بعد تاريخ ابن العميد، باريس، ١٩٢٠ م، ج ١ ص ١٣٩ــ١٤٤.
Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, LONDON, 1939, p. 19.
Cohen & Lewis, op. Cit. p. 25.

(٣٠) Lapidus, op. Cit. p. 196.

ووجد في كل قرية خطيب وفقيه أو مؤدب، يعين من نائب السلطنة في النيابات، كي يعلم أهلها أمور دينهم، و يعلم أبناءهم القراءة والكتابة.[٣١] وكان في كل قرية حارس أو أكثر، يقوم على حراسة القرية وحفظ ممتلكات سكانها، و ينبههم اذا شبت الحرائق وهم نيام.[٣٢] ووجد في القرية من سمو «الطوفية» ومهمتهم تنحصر في حراسة البساتين والمساكن الكائنة خارج القرية.[٣٣]

وقد امتهن أهالي القرى بالاضافة الى مهنة الزراعة، صناعة الأجبان، والنسيج والحياكة، وصناعة البسط الجميلة[٣٤]، وعصر الزيت، وطحن الدقيق، وصناعة الفحم، وصناعة النيل والسكر. فعاصر الزيت وجدت في معظم القرى الأردنية والفلسطينية، فنبات الزيتون وجد في جميع أنحاء البلاد في الجبال والأودية والسواحل، ولكن زراعته تركزت في جبال نابلس والخليل وجبال عجلون والشراه. وكانت بعض هذه المعاصر يدوية و بعضها يدار بواسطة الحيوان، وهناك نسبة من هذه المعاصر كانت قديمة أطلق عليها اسم (المعاصر الرومية). و يذكر الباحثون أن الصليبيين عندما قدموا الى الأراضي المقدسة وجدوا زراعة الزيتون وصناعة الزيت قد تطورت جيدا.[٣٥]

واستخدم الفلاحون الطواحين (الأرحية) في طحن حبوبهم، فينقل الفلاح حبوبه على دابته، والمدة التي يقضيها في الطاحون منتظرا دوره كانت فرصة كي يلتقي بأصدقائه القريبين والبعيدين، و يتبادل معهم المعلومات، و يستمع الى ما يحدث خارج نطاق عالمه الصغير المحدود[٣٦].

وامتهن الفلاحون في الأردن وفلسطين منذ عصور قديمة صناعة السكر، فالجزء الجنوبي من بلاد الشام ملائمة لزراعة قصب السكر. و بلغت زراعة القصب وصناعة السكر أوجها في العصرين الأيوبي والمملوكي، فأقيمت معاصر السكر أو طواحين السكر في الساحل قرب عكا، وفي غور الأردن، وغور الصافي، وفي الشوبك. ومن العرب نقلت أوروبا زراعة القصب

(٣١) السبكي تاج الدين، المصدر السابق، ص ٢٢٠
يوسف غوانمه، المرجع السابق، القسم الحضاري، ص ١٠٧.

(٣٢) السبكي تاج الدين، المصدر السابق، ١٤٥.

(٣٣) السبكي تاج الدين، نفس المصدر، ص ١٤٦.

(٣٤) المقريزي، الخطط، القاهرة، ١٣٢٤ ــ ١٣٢٦ هـ، ج ٣ ص ١٦٢.
ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠ ــ ١٩٧٤، ج ١ ص ١١٤.
ابن اياس: نسق الأزهار في عجيب الأفكار، لوحة ٤٢ «مخطوط».
ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٣١٦.

(٣٥) Prawer, op. Cit. p. 361.

(٣٦) Benvenisti, op. Cit. p. 247.

وصناعة السكر، حتى أن الكلمة العربية (معصرة) Ma'asera انتقلت الى اللغات الأوروبية، حيث ذكرت في وثيقة بندقية تعود لسنة ١٢٤٣ م.[٣٧] وصدر سكر الشوبك والكرك الى قبرص[٣٨] وفلورنسا، حيث أشارت وثيقة فلورنسية الى وجوده في أسواقها بين عامي ١٣١٠ و ١٣٤٠ م.[٣٩]

وكانت معاصر القصب هذه تدار بالماء، ومن المعروف أن استخدام القوة المائية في خدمة الانسان كان قد بديء به في منطقة الشرق الأدنى منذ قرون عديدة، لذا كانت هذه المعاصر متقدمة من ناحية تكنية وأكثر تطورا من تلك الموجودة في أوروبا في نفس الفترة[٤٠].

وقد استخدم الفلاحون الفرن أو التنور (الطابون) في صنع الخبز، واستخدموا روث الحيوانات الجافة والقش والحطب في تحميته[٤١]، ووجد في كل بيت طابون خاص به. أما مواردهم المائية فكانت من الينابيع، وان لم يتوفر النبع في القرية كانت تشيد صهاريج لتتجمع فيها مياه الأمطار و يستمد منها الفلاحون ما يلزمهم و يلزم مواشيهم من ماء، وكان عددها متفاوت بين قرية وأخرى، فبلغت في قرية أدر ١٥٧ صهريجا أي بمعدل صهريجين للدار الواحدة. وعملية نقل المياه كانت تتم بواسطة الجرار أو القرب والروايا المصنوعة من جلود الحيوانات.

وتجدر الاشارة هنا الى أن كثيرا من القرى الأردنية والفلسطينية كانت تحتوي على مغاير أو كهوف تنتشر خارج القرية، وأحيانا داخلها. وقد استخدمت هذه المغاير في ايواء الحيوانات وخزن الغلات، وان كنا نجدهم في حالات أخرى يستخدمونها للسكنى، وقد بلغت هذه المغاير في قرية أدر ٢٣ مغارة.

(٣٧) Ibid, p. 253.

(٣٨) Ibid, p. 253.

(٣٩) Lopez & Rymond,
Medieval trade in the Mediterranean World,
New York, 1955, pp. 109 - 114.

(٤٠) Benvenisti, op. Cit. p. 247.

(٤١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢ ليدن، ١٩٠٩ م ص ١٨٣.

Prawer, op. Cit. p. 366.

وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان

رقم الوثيقة : ٤٩
رقم المحفظة : ٨
نوع الوثيقة : خاصة
موضوع التصرف : حجة وقف
المتصرف : السلطان الملك الأشرف شعبان
تاريخ الوثيقة : ٣ جمادى الأولى ٧٧٧ هـ
مكان الوثيقة : دار الوثائق القومية في القاهرة

محتويات الوثيقة :

تحتوي الوثيقة على وقف عدد من القرى والأماكن في بلاد مصر والشام، أما القرى والأماكن الشامية الباقية في الوثيقة فهي:

١ ــ قرية أدر من عمل الكرك المحروس.
٢ ــ قرية ساسكون من حماه المحروسة.
٣ ــ قرية آرميا من عمل معرة النعمان.
٤ ــ قرية قرعنا من عمل نابلس المحروسة.
٥ ــ قرية سح الحديد من مضافات حلب المحروسة.
٦ ــ قرية معر حطاط من عمل معرة النعمان.
٧ ــ قرية كدرين من عمل حلب المحروسة.
٨ ــ قرية جيلان من جبل سمعان.
٩ ــ البستان والحمام بالكرك.

أولا : الدراسة :

شكل الوثيقة :

هذه الوثيقة أصل وليست صورة، وهي مكتوبة من وجه واحد، على درج من الرق طوله حوالي عشرون مترا. فقدت جزأ من أولها وآخرها، وبها تمزق في وسطها. وهامشها الأيمن متآكل في كثير من أجزائه، مما جعلنا نفقد كثيرا من الكلمات، وقد أشرنا الى ذلك بالنقط. والخط مكتوب بالحبر الأسود وبخط ديواني واضح مقروء في معظمه، فيما عدا بعض الكلمات التي أهمل الكاتب تنقيطها. وعلى كل فالوثيقة في حالة جيدة اذا ما قورنت بغيرها من الوثائق المحفوظة في دار الوثائق القومية في القاهرة.

وهذه الوثيقة تشمل على أوقاف وقفها السلطان الأشرف شعبان في ٣ جمادى الأولى ٧٧٧ هـ، تتكون من عدة قرى منتشرة في مصر و بلاد الشام، من ضمنها وقف قرية أدر القريبة من الكرك، وحمام وادي الكرك، وسوف نتناول في هذه الدراسة الجزء الخاص بوقف قرية أدر.

موضوع الوثيقة :

هذه الوثيقة هي قطعة من حجة الوقف، أما موضوع الوقف فلم يذكر، بسبب فقدان الأجزاء الأولى والأخيرة من الحجة. وكما هو مألوف، فان مثل هذه الوقفيات كان يحبس لأعمال البر والخير، و ينفق ريعها على المساجد والمدارس والبيمارستانات وغيرها من المشاريع ذات النفع العام.

وقد أوضحت لنا هذه الوثيقة مساحة قرية أدر وحدودها الأربعة بالاضافة الى عدد بيوت القرية وصهاريجها ومغايرها ومسجدها والقطع الموقوفة عليه.

ثانيا : نص الوثيقة :

قرية أدر من عمل الكرك المحروس

وما يعرف ونسب اليه ومن الموقوف جميع القرية المعروفة من عمل الكرك المحروس، وهو كرك الشوبك، يشمل على عامر ودامر وسهل[٤٢]، وهي وهاد[٤٣] وواد وشعاب وجبال وأبنية، وما به من الحرس[٤٤]؟؟ المعدلة ما بين الحر (ين)[٤٥] الذي يزرع بأراضي الناحية المذكورة، وما بها من الصهاريج والآبار العامرة والدامرة و بأراضيها، وعمارة دمنها المعدة

(٤٢) دامر: الأمكنة المدفونة التي درس موضعها وذهب أثرها. (لسان العرب مادة دمر).

(٤٣) وهاد: الوهد والوهدة أي المطمئن من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة (لسان العرب مادة وهـــد).

(٤٤) في الأصل (الحرس) وقد تكون الحرين أو الحريق.

(٤٥) في الأصل (الحر) وبقية الكلمة محذوف وأرى أنها نفس الكلمة السابقة.

لسكنى فلاحيها.[٤٦] وعدة الدور وهي ثلاثة وثمانون دارا، من ذلك (عا) مر[٤٧] ثلثة وسبعون دارا وخاوى عشرة. ومساحة جميع الدمنة ضربا وتكسيرا لها لقصد (...) كرك، وذرعها سبعة أذرع ونصف ذراع بذراع الحديد[٤٨] (...) أربعة آلاف قصبة[٤٩]، وثمان مائة قصبة ونصف (...)، وما بالقرية من الصهاريج الرومية المتفرقة في القرية المذكورة وأراضيها، وعدتها مائة صهريج وسبعة وخمسون صهريجا. من ذلك عامر ماية صهريج وسبعة وعشرون صهريجا، المعد ذلك لجمع ماء الأسيلة وخرب ثلثون صهريجا، خلا الصهريج المختص بمسجد القرية، وهو في حرم المسجد الذي بها. وما بالقرية وأراضيها من المغاير[٥٠] المعد لانتفاع فلاحيها، وعدتها ثلثة وعشرون مغارة، وتحيط بالقرية المذكورة، وتشتمل عليها وعلى جميع أراضيها. ويحصرها حدود أربعة: الحد الأول وهو القبلي ابتداؤه المحلة الفاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية القناعة، وتستمر مشرقا على سلسلة رومية فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية القناعة، وتستمر على رفاف وعلامات فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية القناعة الى أن تصل بحبلة رومية [٥١] فاصلة (...) قرية أدر وأرض قرية القناعة الى أن تتصل (بعص ؟)[٥٢] وصهريج يعرف بصهريج القبيل (...) وتستمر على سمته[٥٣] الى أن تتصل بسلسلة رومية فاصلة (...) حبلة نمر، ينحدر على حبلة رومية فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية القناعة الى أن تتصل بشعبين[٥٤] ملتقاهما يلتقيان يعرفان بحلاحبيب .ثم يستمر على حبلة تعرف بأم العامر فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية القناعة، ثم يستمر على رفاف وعلامات فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية القناعة، الى أن تتصل برجم السطوح.[٥٥] ثم يستمر على شعب يعرف بأرض السطوح فاصل بين أرض قرية أدر وأرض قرية القناعة الى أن يتصل بالدرب سالك السلطاني المعروف بدرب الحاج الشريف. و يستمر مشرقا على مسيل الشعب المذكور أولا، الفاصل بين أرض أدر وأرض قرية القناعة الى أن ينتهي الى درب سالك الى قرية نخل فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض السعودية وأرض المصبحة، وهو انتهاء الحد القبلي.

والحد الثاني وهو الشرقي ابتداؤه الدرب السالك الى قرية نخل (...) أرض قرية أدر وأرض السعودية وأرض المصبحة و يأخذ متشاملا الى أن (...) السالك من اللجون الى قرية الثنية[٥٦]، وهو درب الحاج الشريف، و يستمر (...) من أرض قرية أدر وأرض المصبحة الى أن تتصل بالشعب المعروف بالزيادة. ثم يستمر متشاملا على رفاف فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض القناعة، الى أن يتصل بحبلة رومية داخله في أرض قرية أدر المذكورة وتستمر على رفاف وعلامات فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض القناعة الى أن تتصل الى أسفل الوادي الكبير المعروف بالصناعية. ثم يصعد متشاملا من أسفل الوادي الكبير على مقطع حجارة الطواحين قديما، و يستمر متشاملا على رفاف وعلامات فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض الصناعية الى أن يتصل بالدرب السالك من قرية أدر وغيرها الى اللجون وهو انتهاء الحد الشرقي.

والحد الثالث وهو الشمالي ابتداؤه من الدرب السالك من قرية أدر وغيرها الى اللجون الفاصل بين أرض قرية أدر وأرض قمرين، ثم يستمر على الدرب السالك المذكور الى أن يتصل برفاف وعلامات فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض (...) ثم ينعطف متشاملا على رفاف فاصل بين قرية أدر وأرض القمرين، ثم (...) رفاف وعلامات الى أن يتصل بشعب فاصل بين قرية أدر (...) القمرين.[٥٧] ثم ينعطف متشاملا على الشعب المذكور، الى أن يتصل بواد يعرف بواد السبع. ثم ينعطف مغربا على الوادي المذكور، دائرا الفاصل بين أرض قرية أدر وأرض القمرين. ثم ينعطف متشاملا على الشعب المذكور الى أن يتصل الى قبالة عراق

(٤٦) وردت هذه العبارة في بعض الوقفيات «خارجا عن دمنها المشتملة على بيوت الفلاحين وما فيها من الأبنية» (السبكي تقي الدين، التهيد فيا يجب فيه التحديد، ص ٢٨).

والدمنة آثار الناس والمكان القريب من الدار (لسان العرب مادة دمن).

(٤٧) (أمر) في الأصل هكذا والصحيح (عامر).

(٤٨) ذكرت المصادر ذراع العمل، كانت تستخدم لقياس الأرضين، وطولها ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل، وهناك الذراع الزيادي ثم الهاشمي وهي أطولها.

(الفراء: ابو يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٣٨ م، ص ١٥٨. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٤٢، ٤٤٣).

(٤٩) القصبة وحدة لقياس أرض الزراعة وطولها ستة أذرع بالهاشمي، وكل ٤٠٠ قصبة تساوي فدانا. (الفراء الأحكام السلطانية: ص ١٥٧ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٤٢).

(٥٠) المغاير: مفردها مغارة، وهي في الجبل كالغار والكهف، الا أنها أصغر من الكهف (لسان العرب مادة غـور وكهـف).

(٥١) حبلة: الحبلة الكرم، والحبل شجر العنب وفي الحديث (لا تقولوا للعنب الكرم، ولكن قولوا العنب والحبلة بفتح الحاء والباء). (لسان العرب، مادة حبل).

(٥٢) هكذا في الأصل والأصح أنها (بوقف).

(٥٣) سمته: يسمت سمتا ينحو نحوه، والسمت الطريق والقصد (لسان العرب مادة سمت).

(٥٤) شعبين: الشعب، ما انفرج بين جبلين، أو هو مسيل الماء في بطن من الأرض له حرفان مشرفان (لسان العرب، مادة شعب).

(٥٥) رجم: جمعها رجام، وهي الحجارة المجتمعة (لسان العرب، مادة رجم).

(٥٦) الثنية: قرية تقع خارج مدينة الكرك، كان يقيم بها قوافل الحاج الشامي مدة أربعة أيام وتقام لهم فيها سوق هامة. وما زالت هذه القرية موجودة حتى الوقت الحاضر. (يوسف غوانمه، تاريخ شرقي الأردن القسم الحضاري، ص ٦٣).

(٥٧) القمرين: بفتح القاف والميم، قرية الى الشمال من أدر، لا تزال حتى الوقت الحاضر.

القمرين، ثم ينعطف مغربا بالشعب المذكور دايرا، ويجاور الشعب المذكور درب سالك من القمرين الى جحفا[٥٨]، الى أن يتصل بأرض قرية جحفا قبالة الحبلة التي بأرض القمرين. ثم يستمر مغربا بالشعب الفاصل بين أرض قرية أدر وأرض قرية جحفا، و يستمر على رفاف وعلامات الى أن يتصل بحبلة رومية، أو حبلة فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية جحفا، ثم يستمر على الحبلة المذكورة مغربا دائرا الى أن يتصل بحبلة تعرف بأم الرتم. ثم يستمر على الحبلة المذكورة الى أن يتصل بحبلة تعرف بمشاريق بدرا فيها صخرات ثابتة فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية جحفا. ثم ينعطف متشاملا على الحبلة الرومية المعروفة (دايرا؟) من جهة الشمال، ثم ينعطف مغربا على الحبلة المذكورة الى أن تتصل بدرب سالك (...) القمرين، ثم يستمر مغربا على الحبلة المذكورة المجاورة للدرب المذكور الى أن يتصل بحبلة تعرف بالحريق. ثم يأخذ على حبلة شمالي الدرب المذكور الى أن يتصل بسلسلة رومية بخلال جوهرة فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية جحفا. ثم ينعطف متشاملا على سلسلة رومية الى أن يتصل برجم حجارة ثابتة، ثم ينعطف من الرجم المذكور مغربا على حبلة و بعض رفاف فاصل بين أرض قرية أدر وأرض قرية جحفا، الى أن تتصل بسلسلة رومية وقف. ثم يستمر مغربا على السلسلة المذكورة الى أن يتصل برجم، و يستمر على السلسلة المذكورة الفاصلة بين أرض قرية أدر وأرض جحفا، ثم يستمر مغربا الى أن يتصل برجم يعرف بصروتا. ثم ينحدر مغربا على رفاف وسلسلة فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية جحفا، الى أن يتصل بالدرب السالك من أدر الى الربة[٥٩]، وهو انتهاء الحد الشمالي.

والحد الرابع وهو الغربي ابتداؤه الدرب السالك من قرية أدر الى دبة الربة الفاصلة بين أرض قرية أدر وأرض مقبلا، و يستمر مقبلا على الدرب الى ان (...) رومية فاصلة بين أرض أدر وأرض مقبلا، و يستمر على السلسلة (...) درب سليم الى أن تتصل بصخرات كبار. ثم ينعطف مغربا على سلسلة رومية و ينعطف مقبلا على الحبلة الفاصلة بين أرض قرية أدر وأرض حلا آل اسماعيل فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض مقبلا، الى أن يتصل بحبلة وصخرات ثابتة، و يستمر على سلسلة وسط الحبلة المذكورة، الى أن يتصل بمعصرة رومية من جملة حقوق قرية أدر وأرض مقبلا الى أن يتصل برجم مجاورة بقية المعاصر من جهة الغرب، ثم ينعطف مقتبلا على رفاف وعلامات فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض مقبلا الى أن يتصل بأرض قرية الكنار.[٦٠] ثم ينعطف مغربا على رفاف وعلامات فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية الكنار الى أن يتصل بحبلة ثم ينعطف مقتبلا على حبلة رومية، ثم ينعطف مغربا على الحبلة المذكورة الى أن يتصل بحبلة ثم ينعطف مقتبلا على حبلة رومية ثم ينعطف مغربا على الحبلة المذكورة الى أن يتصل بالشعب الفاصل بين أرض قرية وأرض تعرف بحكر سليمان[٦١] بن صالح بن مكي (...) يستمر مقتبلا بالشعب المذكور الى أن يتصل بأرجام وسلسلة رومية فاصلة من (...) أرض الحكر المذكور. و يستمر مقتبلا على رفاف وعلامات وحبلة رومية الى أن يتصل الى حايط رومي. ثم ينعطف مشرقا الى أن يتصل الى حايط رومي[٦٢]، ثم ينعطف مشرقا على الحايط المذكور الفاصل بين أرض قرية أدر وأرض قرية الكنار الى أن يتصل بصرة[٦٣] هناك من حقوق الكنار. ثم ينعطف مقتبلا على سلسلة رومية فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية الكنار، و يستمر على رفاف وعلامات فاصلة من أرض قرية أدر وأرض قرية الكنار الى أن تتصل بالدرب السلطاني السالك من قرية أدر الى مدينة الكرك المحروس. و يستمر مقتبلا على حبلة رومية دائرة فاصلة بين أرض قرية أدر وأرض قرية الكنار، بالحبلة المذكورة رجم يعرف بأم الطلع. ثم يستمر على سلسلة رومية الى أن يتصل بمحلة سالكة من القناعة الى قرية الكنار فاصلة من أرض قرية الكنار وأرض القناعة وهو انتهاء الحد الغربي.

ومما هو داخل في جملة حقوق القرية المذكورة الربع والسدس شائعا[٦٤] من جميع القطع الأرض المعروفة بحكر سليمان بن (صالح) و (مسا) حة؟ جميع القطع المذكورات ستة آلاف قصبة بالقصبة المذكورة بجميع حقوق القرية المذكورة وما يعرف بها ونسب اليها خلا المستثنى[٦٥] الآتي ذكره. وهو المسجد الجامع المعمور بذكر الله تعالى، وهو معقود بالحجر والطين، والمقابر الثلاث المعدة لدفن أموات المسلمين، والطرقات السلطانية التي هي ممر المسلمين وغيرهم. ثم وخلا ما بأراضي القرية المذكورة من

(٥٨) جحفا: وهي موجودة للآن وتعرف باسم جحفه.

(٥٩) الربة: مدينة قديمة، كانت تسمى مآب ولكنها بادت وصارت قرية تسمى الربة (ابن سباهي، أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١، جغرافيا، لوحة ٢٣٧).

(٦٠) الكنار: قرية موجودة للآن الى الجنوب الغربي من أدر.

(٦١) حكر: حكر الشيء احتبسه (لسان العرب مادة حكر)، والحكر هنا احتباس شيء من أرض وعقار لأعمال البر والخير.

(٦٢) حايط: الحائط الجدار لأنه يحوط ما فيه. (لسان العرب، مادة: حاط).

(٦٣) صرة: الصرار الأماكن المرتفعة لا يعلوها ماء (لسان العرب، مادة صرر).

(٦٤) الربع والسدس شائعا : يعني أن الوقف يشمل أيضا ما نسبته خمسة من اثني عشر من حكر سليمان بن صالح، ومقداره ستة آلاف قصبة، وهذا الحكر باق على الاشاعة.

(٦٥) هذا المستثنى يذكر دائما في حجج الأوقاف، وشروط الاستثناء هو المعرفة والتمييز، وفي بعض الأحيان يحدد هذا المستثنى، وأحيانا لا يحدد، و يكتفى بذكر ذرعه، والشائع ان المسجد والمقابر والطرقات لا تحدد. (أنظر السبكي تقي الدين، التهديد فيما يجب فيه التحديد، ص ١٣، ١٦، ٢٦).

الفدانين[٦٦] المطلقين الآتي ذكرهما و وصفهما وتحديدهما فيه. من ذلك فدان واحد برسم مصالح المسجد المذكور وجملته تسع قطع، ويحيط بالأولى من القطع المذكورات حدود أربعة: الحد القبلي ينتهي الى الطريق سالكة الى أرض الناحية المذكورة. ومن الشرق، رفاف وعلامات فواصل بينها و بين أرض الناحية المذكورة، ومن الشمال كذلك ومن الغرب كذلك، ويحيط بالقطعة الثانية حدود أربعة الحد القبلي ينتهي الى حبلة رومية، ومن الشرق حايط رومي، ومن الشمال سمّار رومي[٦٧]، ومن الغرب طريق سالكة، والقطعة الثالثة حدها من (الجنوب) حبلة رومية، ومن الشرق سلسلة رومية، ومن الشمال حبلة رومية، ومن الغرب حبلة، والقطعة الرابعة يحيط بها من الجهات الأربع حائط رومي فاصل بين القطعة المذكورة و بين أرض قرية أدر المذكورة. والقطعة الخامسة يحيط بها من الجهات الأربع حايط رومي فاصل بين القطعة المذكورة وأرض قرية أدر. والقطعة السادسة حدها من القبلة حبلة، ومن الشرق طريق سالكة ومن الشمال حبلة ومن الغرب كذلك. والقطعة السابعة حدها من القبلة سلسلة رومية ومن الشرق حبلة، ومن الشمال حكر يعرف بزيد بن طي من حقوق أراضي القرية المذكورة ومن الغرب حكر القاضي معين الدين روالله؟ من أراضي القرية المذكورة. والقطعة الثامنة حدها من القبلة طريق سالك ومن الشرق عراق مانع، ومن الشمال طريق سالكة ومن الغرب كذلك. والقطعة التاسعة حدها من القبلة حبلة ومن الشرق كذلك، ومن الشمال سلسلة رومية ومن الغرب كذلك. ومن ذلك فدان واحد مطلق باسم أحمد ابن داود صياد الغزلان[٦٨]، وهو قطعتان، ويحيط بالقطعة الأولى من القطعية حدود أربعة، حدها من القبلة حايط رومي فاصلة بينها و بين أرض القرية المذكورة ومن الشرق حبلة رومية فاصلة بين الأرض المذكورة و بين أرض القرية المذكورة. ومن الشمال حبلة رومية فاصلة بين الأرض المذكورة وأرض قطع مسجد الناحية المذكورة. ومن الغرب حبلة رومية فاصلة بين الأرض المذكورة وأرض قرية الكبار. والقطعة الثانية وهي شمالية حدها من القبلة سلسلة رومية فاصلة بينها و بين قرية أدر، ومن الشرق كذلك، ومن الشمال حبلة رومية فاصلة بين الأرض المذكورة وأرض قرية جحفا، ومن الغرب حبلة رومية فاصلة بين الأرض المذكورة وأرض قرية أدر الى أن تتصل بدرب سالك من أدر الى قرية الفاخرية وغيرها.

(٦٦) الفدان: هناك الفدان الرومي: وهومقدار ما يحرثه زوج من الثيران من الأرض في يوم وليلة.

أما الفدان العربي: فهو ما يستطيع أن يحرثه الفدان في يوم كامل. والفدان = ٤٠٠ قصبة مربعة أو ٢٤ قيراطا، فمساحة الفدان في العصور الوسطى تكون ٦٣٨٨ م ٢.

(القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٤٢) .

والفدان في اللاتينية Carruca وفي الفرنسية Charrués وهي تعني في الوحدات الأوروبية الكمية من الأرض التي يمكن زراعتها بواسطة عجلة محراث في فصل واحد و يساوي ٣٥ هكتارا.

(Prawer, The Latin Kingdom, p. 372) .

(٦٧) سمار رومي: السمر، ضرب من الشجر صغار الورق قصار الشوك، وله برمة صفراء يأكلها الناس. جيد الخشب، يستعمل في سقوف البيوت. (لسان العرب، مادة سمر).

(٦٨) ذكرت بعض الوقفيات استثناء الأراضي التي هي ملك لأربابها، ونرى في هذه الوقفية بعض الأراضي الخاصة.

(السبكي تقي الدين، المصدر السابق، ص ٣٥).

ثالثا : التحقيقات :

السلطان الأشرف شعبان :

هو الملك الأشرف زين الدين شعبان بن الملك الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن سنة ٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م وعمره عشر سنوات وفي عهده هاجم الفرنج مدينة الاسكندرية بقيادة بطرس لوزجنان صاحب قبرص واستولوا عليها مدة ثلاثة أيام. وفي سنة ٧٧٨ هـ/١٣٧٧م خرج لأداء فريضة الحج، و بعد وصوله الى مدينة العقبة تعرض فيها الى مؤامرة قام بها المماليك ضده، فهرب عائدا الى القاهرة ولكن أعداءه تمكنوا من القاء القبض عليه وقتلوه في ٦ ذو القعدة ٧٧٨ هـ[٦٩].

الوقـف :

الوقف لغة الحبس، و يقصد به تلك الأراضي التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية أو علمية كالمساجد والمدارس والزوايا والخانقاوات أو أغراض خيرية، كالبيمارستانات والسبل والخانات ومكاتب الأيتام أو لغيرها من المنشآت ذات النفع العام.[٧٠]

وكانت الأوقاف خاصة أو رسمية، فالخاصة يوقفها بعض الأتقياء والأمراء لبعض الأغراض السالفة الذكر. أما الرسمي فيكون من قبل الخليفة أو السلطان أوقفه للصرف على بعض المنشآت الاجتماعية العامة، كالمدارس والمساجد والبيمارستانات والخانقاوات.

وقد كثرت الأوقاف في بلاد الشام منذ زمن السلطان نور الدين زنكي و يذكر السبكي أن الأوقاف كانت قليلة في الشام قبل الدولة النورية، وان ما وصله من أوقاف نور الدين هو سبعة وثلاثون كتابا[٧١] أما

(٦٩) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٢٤ وما بعدها.

(٧٠) السبكي تقي الدين، المصدر السابق، ص ٩، عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ط ٢، بيروت، ١٩٧٤ م، ص ٤٩، محمد عبيد الكبيسي أحكام الوقف في الشريعة الاسلامية، ج ١ مطبعة الارشاد ــ بغداد، ١٩٧٧ م، ص ٥٥.

Hütteroth, op. Cit. p. 100.

(٧١) السبكي تقي الدين، المصدر السابق، ص ١٠، ١٣.

السلاطين الأيوبيون والمماليك فقد أكثروا من هذه الأوقاف، واشتملت أوقافهم على العديد من القرى والضياع موزعة في بلاد مصر والشام[٧٢]. ومن تلك الأوقاف ما وقفه الظاهر بيبرس على خان للسبيل بناه في بيت المقدس ووقف عليه أوقافا في قرية (لفتا) في فلسطين وقيراطا ونصفا في قرية الطرة (شمال الأردن)، وثلث وربع قرية المشيرفة من عمل بصري. وكان هذا الخان يوزع الطعام واصلاح نعل المسافرين المشاة مجانا، وذلك من ريع هذا الوقف. ومن تلك الأوقاف ما وقفه حسام الدين لاجين سنة ٦٧٧ هـ على جامع أحمد بن طولون في القاهرة، وهو ضيعة الأقسا من عمل يافا والرملة[٧٤]. أما ركن الدين بيبرس الجاشنكير فقد بنى خانقاه في القاهرة، ووقف عليها الأوقاف الجليلة، وقرر بها أربعمائة صوفي، وبنى بجانبها رباطا قرر به مئة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت. وجعل به مطبخا يوزع في كل يوم على نزلائه الخبز واللحم والحلوى.[٧٥]

وكان الاشراف على تلك الأوقاف لرجال الدين وخصوصا قاضي القضاة، والقضاة، لذا فقد مارس هؤلاء العلماء سلطة اقتصادية واجتماعية من خلال سيطرتهم على تلك الأوقاف، وحظوا بمنزلة خاصة لدى السلاطين.[٧٦]

الحدود الأربعة :

يرى بعض الفقهاء أن لا بد من ذكر الحدود الأربعة للعقار الموقوف وروي عن أبي يوسف أن التعريف يحصل بذكر حدين، وقيل بثلاثة حدود، ولكن زفر قال: ان التعريف لا يحصل الا بذكر الحدود الأربعة[٧٧]. أما الخصاف (ت ٢٦١ هـ) فاعتبر الوقف باطلا عند عدم تحديده، الا اذا كان مشهورا متميزا وفي هذه الحالة يجوز وقفه دون ذكر حدوده. أما اذا لم يكن الموقوف مشهورا معروفا، وجب تحديده بحدوده الأربعة كي تصح الشهادة على الوقف.[٧٨]

أما المستثنى من الوقف فلا يشترط تحديده، فالسبكي يقول: (فاشتراط التحديد، والقول بأن ذلك يحتاج اليه لا يشهد له فقه ولا عرف، ولا دليل له يعضده، ولا عمل عليه)[٧٩]. فان حدد المستثنى اعتبر ذلك جائزا وليس واجبا.

وفي هذه الوثيقة نلاحظ أنها كتبت على أحوط الوجوه، وتحرز فيها الكاتب عن مواضع الخلاف، فذكرت الحدود الأربعة لجميع القطع الأراضي الموقوفة وجملتها احدى عشرة قطعة، كي يكون التعريف حاصلا على جميع الأقوال.

(٧٢) السبكي تقي الدين، نفس المصدر، ص ٢٦، ٢٩، ٣١ـ٣٤.

(٧٣) السبكي تقي الدين: المصدر السابق، ص ٢٦، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ١٢١. مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ص ٨٧.

(٧٤) السبكي تقي الدين: نفس المصدر، ص ٣١.
(٧٥) السبكي تقي الدين: نفس المصدر، ص ٣٢.
(٧٦) ابن طولون: قضاة دمشق، ص ١٢٣.

Hourani, The Islamic City, p. 18.

يوسف غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، القسم الحضاري، ص ١٠٢.

(٧٧) عبد اللطيف ابراهيم: وثيقة وقف مسرور بن عبد الله الشبلي الجمدار، جامعة القاهرة، ١٩٦٣ م، ص ١٦٣.

(٧٨) محمد عبيد الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الاسلامية، ج ١ ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٧٩) السبكي تقي الدين، المصدر السابق، ص ١٠.
وانظر نصوص بعض الوقفيات، والمستثنى منها بدون ذكر حدودها في الصفحات ٢٤، ٢٨، ٣٢.